

## خطبة بعنوان: الحياة الزوجية

يوم الجمعة: ٢٢/٠٧/١٤٤٠هـ لفضيلة الشيخ الدكتور/ عبد العزيز بن أحمد البداح

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا. ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا\* يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد...

فيا أيها المسلمون... من نعمة الله تعالى على العبد المؤمن، وعلى الأمة المؤمنة أن يوفقهما لإقامة أسرة على أساس من المودة والرحمة. روى الإمام مسلم أن النبي ﷺ قال: ((الدنيا متاع، وخير متاعها المرأة الصالحة))، وروى الإمام أحمد بسند صحيح أن النبي ﷺ قال: ((من سعادة المؤمن المرأة الصالحة))، وروى أبو داود، وابن ماجه أن النبي ﷺ قال: ((ما استفاد المؤمن بعد طاعة الله تعالى خيرًا من امرأة الصالحة إن أمرها أطاعته، وإن نظر إليها سرته، وإن أقسم عليها أبرته، وإن غاب عنها حفظته في نفسها وماله)).

أيها المسلمون... وهذه الأسرة تقوم في الإسلام على أساس المودة والرحمة ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً...﴾ [الروم: ٢١]، فالأصل أن الزوج يرحم زوجته، وأن الزوجة ترحم زوجها، وعلى هذا الأساس يشيد بناء الأسرة فيكون بناءً قويًا ومتينًا، يستظل تحته أفرادها في أمن، وطمأنينة، وورع، وسكينة، وإذا لم تكن الأسرة قائمة على هذا الأساس فإنها تكون طاردة لأفرادها، منفرة لأبنائها وبناتها، وتتحول أحيانًا إلى جحيم لا يطاق.

أيها المسلمون... وإذا لم يكن بين الزوجين محبة فلا أقل من وجود الإلف والمودة بسبب طول العشرة، فإن طول العشرة يوجد بين الزوجين نوعًا من المودة والإلفة، وهذا من طبائع البشر الذين استقامت فطرتهم، وصلحت أخلاقهم؛ ولهذا روى النسائي أن رجلاً جاء إلى عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فيستشيره في طلاق

زوجته فقال له عمر: "لا تفعل" فقال الرجل: "ولكني لا أحبها" فقال عمر - رضي الله عنه -: "ويحك وكم من البيوت يبني على الحب فأين الرعاية، وأين التدميم؟"

أيها المسلمون... وأساس العلاقة بين الزوجين لا يتم ولا يقوم إلا إذا أحسن الولي وكل واحدٍ منهما اختيار صاحبه، فعلى ولي المرأة، وعلى المرأة أن تحسن اختيار الزوج كما جاء عند الترمذي وابن ماجه أن النبي ﷺ قال: **((إذا جاءكم من ترضون دينه، وخلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض))**؛ ولهذا يجب على من ينصح لموليته أن يختار الكفاء الذي يرضاه في دينه، وخلقه، ولا بد هنا من اجتماع هذين الوصفين، الخلق والدين، فإن بعض الناس قد يؤتى شيئاً من الدين لكنه لا يؤتى الخلق، وبعض الناس قد يؤتى شيئاً من الخلق لكنه يحرم من الدين. فعلى الإنسان أن يحرص على ذلك غاية الحرص، وأن يعلم أن الله تعالى سائله عن ذلك، فليحسن الاختيار، وليعلم أن بعض الناس يجني على موليته أعظم جناية عندما يزوجه لمن لا يعلم حاله، أو يعلم أنه فاجرٌ، أو فاسقٌ، أم مهتكٌ، أو لا خير فيه.

أيها المسلمون... وعلى الزوج أن يحرص على اختيار الزوجة الصالحة. روى البخاري ومسلم أن النبي ﷺ قال: **((تُنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها فإظفر بذات الدين تربت يداك))**. وذلك أن المرأة هي المحضن للأولاد، وهي المحضن الحقيقي للأسرة، وإذا كانت المرأة مصدر إسعادٍ لأسرتها سعدت أسرتها بذلك، وإن كانت مصدر إتعاسٍ للأسرة تعست أسرتها بذلك، وعلى كلٍ من الزوج والزوجة أن ينظر إلى المحضن الذي تربي فيه الزوج أو تربت فيه الزوجة، فإن العرق دساس، وقد جاء عند الدارقطني أن النبي ﷺ قال: **((إياكم، وخضراء الديمن. قالوا: وما خضراء الديمن يا رسول الله؟ قال: المرأة الحسناء في المنبت السوء))**، ونحن نرى أن كثيراً من المشكلات الأسرية، أو الزوجية ليس منبعا من الزوج، أو الزوجة، وإنما منبعا أحياناً من أبيه، أو أخيه، أو قريبه ممن يغلب عليهم الطيش، أو السفه، أو قلة العقل، وضعف الإدراك؛ ولهذا تحسن الزوجة وولمها اختيار الزوج في دينه، وخلقه، وبيئته، ومنبته، ويحسن الزوج اختيار زوجته في خلقها، ودينها، وبيئتها، ومنبتها، فإذا كان كذلك كانت هذه الأسرة حقيقةً أن تقوم على أساسٍ من المودة، والرحمة.

أيها المسلمون... والأسرة المسلمة تقوم على طاعة الله، والتزام ذلك، والحرص عليه، وأنت ترى أن أعظم فرائض الله بعد التوحيد هي الصلاة، فإذا أقامت الأسرة في الزوج، والزوجة، والأولاد هذه الفريضة أقام الله لهم حياتهم، ولا يمكن للإنسان أن يقيم حياته إلا إذا أقام صلاته، فإن لم يقمها فسد من حياته بقدر ما يحصل من النقص في إقامة الصلاة، وتأمل أن الله عز وجل لما ذكر آيات الطلاق في سورة البقرة ذكر بينها قوله سبحانه: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، فلا يحفظ الإنسان أسرته، ولا يقيم علاقته مع زوجته، وأهل بيته إلا إذا حافظ على صلاته، وإذا ضيع صلاته ضيع علاقته مع أهل بيته، وزوجه.

أيها المسلمون... وعلى العبد أن يحذر المعصية، فإن للمعصية أثرًا في علاقة الإنسان بأهله، وزوجه، وأولاده. قال بعض السلف: "إني لأرى أثر معصيتي في خلق دابتي، وامرأتي".

أيها المسلمون... وعلى الزوج، والزوجة أن يتسلحا بسلاح الصبر في العشرة القائمة بينهما، فإن الحياة، ومنها الحياة الزوجية تحتاج إلى نوعٍ من التجلد، والصبر، فإن لم يكن لجأ الزوج إلى الطلاق، والزوجة إلى الفراق في أقرب فرصةٍ للهروب من الحياة الزوجية، وما يعترئها من الكدر، والتنغيص؛ ولهذا لما كان غالب هذا الجيل ينقصهم الصبر، والتجلد كان أقرب طريقٍ للتخلص من الحياة الزوجية عند أول عقبة، أو عند أول مشكلة هو الطلاق والفراق، فكثرت حالات الطلاق في مجتمعنا في الأشهر الأولى من الزواج؛ لأن هذا وتلك فقدما أعظم سلاحٍ يمكن أن يتسلحا به، وهو الصبر، والتجلد.

أيها المسلمون... وعلى الزوج، والزوجة أن ينظر كل واحدٍ منهما إلى الآخر نظرةً واقعيةً بعيدًا عن المثالية، فإن الزوج لا يخلو من الخلل، والنقص، والتقصير، وكذا أيضًا الزوجة، وأشار النبي ﷺ إلى هذا المعنى فيما رواه البخاري ومسلم (( لا يَفْرِكُ - يعني لا يُبغض - مؤمِّنٌ مؤمنةٌ إن كره منها خلقًا رضي منها آخر ))، وعلى الزوج أن ينظر خصوصًا إلى طبيعة المرأة. روى البخاري ومسلم أن النبي ﷺ قال: (( استوصوا بالنساء خيرًا، فإن المرأة خُلقت من ضَلَعٍ، وإن أعوج ما في الضَلَعِ أعلاه - يعني: لسانها- فإن ذهب تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيرًا ))؛ ولهذا يحتاج المؤمن، وكذا المؤمنة إلى نوعٍ من السياسة، والكياسة في إدارة العلاقة بينهما على أساسٍ من التغافل، وقبول أدنى المعروف، والحرص على الألفة، ورعاية مصالح الأولاد.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعي وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، وتقبل الله مني ومنكم تلاوته إنه هو السميع العليم، أقول ما تسمعون وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه من كل ذنب إنه هو الغفور الرحيم.

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق المبين، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

اعلموا رحمكم الله أن الله أمركم بأمرٍ بدأ فيه بنفسه، وثنى بملائكته، وثلاث بكم أيها المؤمنون فقال جل من قائلٍ عليهما ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦]

اللهم صل وسلم وزد وبارك على عبدك ورسولك محمد، وارض اللهم عن الأربعة الخلفاء الأئمة الحنفاء أبي بكرٍ  
وعمر وعثمان وعلي، وعن الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنَّا معهم بمنك وكرمك  
وجودك وإحسانك يا رب العالمين.